جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الدراسات الأدبية

ديوان منائح الألطاف في مدائح الأشراف

للشاعر عبد الله الشبراوي

(ت: ١١٧١هـ /١٧٥٨م)

تحقيق ودراسة

رسالة ماجستير

مقدمة من

محمد فتحي عبد الفتاح عبد المعطي الأعصر

المشرفان

الأستاذ الدكتور / الطاهر أحمد مكي

والدكتور / صبري علي الشربيني

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠م

ÉŠïmS9#$Ç»Hqs9#$<¡ #$Éqî

الإهداء

لا يسعُني في هذا المقام إلا أن أتقدمَ بشكر والديَّ، وإنِّي لأعلم أن شكر الوالدين أكبر من أن تحيطَ به الأفهام، أو تكتبه الأقلام، أو ينطق به اللسان، أو تعمل له البنان، فالأم التي بذلتْ لولدها ما لم تبذلهُ لأحدٍ غيره، ولا تقرُّ عينها إلا أن يشرح الله صدْرَه، وترقبتْ عملاً لم ترتقبه لشيءٍ قَدْرَه، والأب الذي ربَّى ومهد، وحثَّ ووجه .كلاهما لا يقدرُ على جزائِهما إلَّا من بيدِهِ الجزاء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أرجُوْ الله سبحانه أن يحشرني وإياهما مع النبي r ومع من قال فيه: (ïn≠‰ï°qî #Ør

$J . $JĢ#qö$Ê§@êr)، وأدعُو لهما بما أمر الله به: ($ŀÃã #'$6_ `ãƒ Ö9r

.(#ŽÆ£¹ 'Î$‹/'

شكـر وعـرفـان

لا أملكُ في هذا المقام إلاَّ أن أعترفَ بالفضلِ والجميلِ لمن وقفوا بجواري، وقاموا بتوجيهي، وإرشادي إلى الطريق الصحيح من علماءَ وأساتذةٍ أجلاءَ سعدت بصحبتهم، ونهلت مـن بحـرِ علمهم، ولم يألوا جهدًا في تقديم يد العون والإرشاد لي، وكانوا حقًا كما قال الله تعالى فيهم:

" [illegible]"، ومن هنا وجب الاعترافُ بعظيم الشكر وجزيـل الامتنان لأستاذنا ــ بل أستاذ هذا الجيل ــ العالم الكبير الأستاذ الدكتور/ الطاهر أحمد مكـي، الذي وقف بجوار هذا العمل ورعاه منذ البذور الأولى لنشأته إلى أن وصل إلى صـورته هـذه، وكانت سعادة غامرة تحفني عندما تتلمذت على يديه، فوجدت فيه سعة الصدر وتواضع العلماء وهيبتهم، كما وجدت فيه حنان الأبوة الصادقة وعطف الأب على أولاده، وكلما كان الطريـق شاقا وعسرًا، كانَ يهوِّنُ ويخفف من مشقته، فكان بحقٍّ عالما جليلا ومحقِّقًا قديرًا، وما من عمـلٍ قمتُ به إلا وكان يرعاه، ويقدم لي النصيحة، ويرشدني إلى طريق الصواب. وما في هذا العمـل العلمي من دقة وعناية، يرجع في المقام الأول إلى الله تعالى وتوفيقه. ثم إلى عناية أستاذي، وما فيه من خطأ فمني، وحسبي أنّي اجتهدت. وأسألُ اللهَ أن يُلبِسَه ثوب العافية، ويجعل كُلُّ ما يقدمـه لطلبة العلم في ميزانِ حسناته.

كما أتقدَّمُ إلى سعادة الأستاذ الدكتور/عبد الرحمن الوصيفي ــ بخالص الـشكر والتقـدير، لتفضله بقراءة البحث وإبداء الملاحظات، وأعده أن أضع ملحوظاته موضع العنايـة والتنفيـذ، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يباركَ لهُ في العلم والعمرِ، ويجزيه خيرَ ما جُزِيَ عالمًا عن علمه.

أمَّا أستاذي الدكتور/ محمد موسى خشبة، فأعجز عن شكره، ولا أدري بأي شيءٍ أعبِّرُ عمَّـا بداخلي نحو هذا الرجل العظيم، الذي سجل اسمه بحروفٍ من ذهب بين طلبة العلم، يـأتي إليـه طلاب العلم من المشارق والمغارب للتعلُّم من أدبه وخلقه الجمِّ أولاً، قبل أن يأخذوا وينهلوا مـن علمه الواسع. فجزاه الله خيرًا، وأدام عليه الصحةَ والعافيةَ.

أما الدكتور/ صبري علي الشربيني، فأكنُّ لـه كلَّ احترامي وتقديري وعظيم امتناني، كما أشكر أساتذتي وزملائي وأهلي، وكل من وقف بجانبي من أجل إتمام هذا العمل. وكُلُّ ذلك من باب قوله ﷺ : « لا يشْكُرُ اللهَ منْ لا يشْكُرُ النَّاسَ ».

وفي الختام أسأل الله أن يكتبَ لهذا العمل القبولَ لدى أساتذتي، وطلبة العلم، وكـلِّ مـن رام النفع والخير لجميع المسلمين.

مقدمة البحث

يقوم هذا البحث على بيان أهمية الأدب العربي في مصر العثمانية؛ إذ كان أدبًا يستحق التقدير والإجلال؛ لما فيه من روعة البيان وحسن النظم وسهولته، ورقة الألفاظ واحتوائها على الموسيقى المطربة، وسمو التعبير، وهذا بلا ريب فيه دلالة كافية على خطأ ما شاع لدى الباحثين من سوء الظن بالعصر العثماني.

وقد هالني كثيرٌ من الأسى عندما وجدت كثيرًا من الباحثين والدارسين، وطلاب المراحل التعليمية المختلفة ينعون أدب هذا العصر، ووجدت كثيرًا من الشعارات والأقوال التي تردد أن الأدب العربي المصري في تلك الفترة لا يستحق البحث والاستقصاء العلمي الدقيق؛ فهو أدب الانحطاط والتكلف لا أثر للحياة فيه، كما يتسم بركاكة الأسلوب، كما يزعمون.

ومن أبرز المهاجمين **جورجي زيدان** الذي أطلق كثيرًا من الأحكام الجارحة والمغلوطة والتي لا تخضع لأساس علمي، وانصاع له كثير من الباحثين والدارسين، مرددين أقواله وأحكامه، ولم يكلفوا أنفسهم مؤنة البحث والدراسة والتحري الدقيق؛ مما أدى في نهاية المطاف إلى غض الطرف عن أدب عدة قرون من **تاريخ تراثنا العربي متغافلين** أو **متجاهلين عمدا**، ولا أدري كيف نغمط ــ نحن العرب ــ عدة قرون طويلة من تاريخ تراثنا، وهويتنا العربية، لمجرد بعض الأقوال والشعارات والافتراءات الموجهة لأدب مصر في تلك الحقبة على وجه الخصوص، والأدب العربي على وجه العموم، دون أن نكلف أنفسنا مشقة البحث والتنقيب في دواوين الشعراء، أو الآثار الأدبية المخطوطة، أو نقوم بدراسة وتحقيق مخطوط من المخطوطات المدرجة في أرفف المكتبات ليكون ردا حقيقيا على تلك الأقوال والادعاءات؟!.

ولهذا قمتُ بتحقيق ديوان«**منائح الألطاف في مدائح الأشراف**» ودراسته، وجاء اختياري لتحقيق هذا المخطوط ودراسة حياة **شاعره، لعدة أسباب من أهمها**:

١ــ حاجة العصر العثماني لإنصافه؛ إذ احتوى على دواوين شعرية مخطوطة تبرز مكانة الأدب العربي في مصر العثمانية، وهذا أحدها أخرجته للنور؛ ليكون شاهدًا على جدارة العصر العثماني بالبحث والدراسة.

٢ــ الألفاظ والمفردات الشائعة عند شعراء تلك الفترة، باعتبار أن لكل عصر أسلوبه ومفرداته الدالة عليه.

٣ــ الأغراض الشعرية التي حظيت باهتمام الشعراء، وكان لها النصيب الأوفى لديهم.

٤ــ السمات العامة لشعر الشاعر، وأهم خصائصه.

٥ــ أهمية الشاعر عبد الله الشبراوي باعتباره واحدا من كبار شعراء مصر في تلك الفترة، ممن لعبوا دورا بارزا في الجوانب الحياتية الثلاث: السياسية والاجتماعية والفكرية.

٦ــ المكانة الرفيعة التي حظي بها الأزهر الشريف وطلابه في مدة رئاسته لمشيخة الأزهر الشريف سنة ١١٣٧هجرية.

٧ــ جودة شعره وسلاسته وعذوبته وتنوع تجاربه الشعرية بين المدح والغزل والوصف والإخوانيات والرثاء والتأريخ الشعري، وتنوع أوزانه، وتنوع مجالاته بين القريض والمخمسات والمشطرات.

٨ــ أهمية ديوان منائح الألطاف في مدائح الأشراف؛ لأنَّه يعد من الدلالات الحقيقية المبينة للحياة الأدبية في مصر العثمانية، وكيف كانت سائرة؟.

٩ــ الوفرة في عدد النسخ الخطية للديوان محل الدراسة، وهي كثيرة وموجودة في مكتبات مصر والعالم.

١٠ــ النقص العلمي الواضح في طبعات الديوان القديمة التي طبعت عام ١٢٨٢هجرية، ثم عام ١٢٩٣هجرية، وعام ١٣٠٢ هجرية، ومن بعدها عام ١٩٩٨م. والطبعة الثانية والثالثة ناقلة عن الطبعة الأولى بدون أي تغيير أو تعديل أو زيادة، والرابعة مصورة عن الطبعة الأولى؛ مما يجعل تلك الطبعات طبعة واحدة. إضافة إلى ذلك أن هذه الطبعات غير مستوفية لشعر الشاعر.

١١ــ خلو الطبعات من التحقيق العلمي من حيث الشروح والهوامش والفهارس والترجمة للأعلام...وبها بعض الأخطاء المطبعية.

١٢ــ الديوان يحوي عددا كبيرا من الأشعار التي تبرز وتكشف عن شخصية الشيخ الشاعر، وتبين السمات الفنية لديوانه.

١٣ــ كذلك فإن محاولة دراسة الشاعر، وتحقيق ديوانه تحقيقا علميا يمثل خطوة جديدة على الطريق لبيان أهمية الأدب العربي في مصر، ويلقي مزيدا من الضوء على الحقبة التاريخية التي عاش فيها الشاعر، وتبرز كثيرا من التساؤلات حول أدب هذا العصر، ومدى الظلم الذي حاق به جَرَّاء بعض الأقاويل والادعاءات.

* * * * *

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث **أن أقسمه إلى قسمين** يتفرع كل جزء منهما إلى عدة فصول، ثم خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

فالقسم الأول: يتناول "**الدراسة**"، وقدمتُ فيها الشاعر عبد الله الشبراوي من خلال شخصيته، ومدى تأثيرها على شعره، والأغراض الشعرية التي حظيت باهتمامه من خلال فصول هذه الدراسة التي اشتملت على **الفصول الأربعة الآتية**:

الفصل الأول: **عصر الشاعر**، وقسمته إلى ثلاثة مباحث،الأول: الحياة السياسية، والثاني: الحياة الاجتماعية، والثالث: الحياة الأدبية.

وجاء الفصل الثاني: بعنوان **عبد الله الشبراوي في عصره**، واحتوى على أربعة مباحث، **الأول**: حياة الشاعر، **والثاني**: شيوخه وتلاميذه، **والثالث**: منزلة الشبراوي بين علماء عصره، **والرابع**: يتضمن نتاج الشاعر، وإحصاء مؤلفاته وأماكنها.

والفصل الثالث: يوضح الأغراض الشعرية التي تناولها الشبراوي في ديوانه. وقد قسمته إلى ستة مباحث، **الأول**: في المدح، ويتضمن مدح النبي **r**، والمدح الشخصي، وشعر التوسل، وشعر الاستغاثة.

والثاني: **في الغزل**، ويبين نوعين من الغزل في شعر الشبراوي: الغزل العفيف، والغزل الحسي.

والثالث: **الوصف**، ويتناول نوعين من الوصف: وصف الطبيعة، ووصف القصور والمباني.

والرابع: في الإخوانيات، ويحتوي على خمسة أنواع من الشعر جاء بها الشبراوي في ديوانه، وهي: شعر التهنئة، وتقريظ الكتب والمصنفات الأدبية، وشعر الاستدعاء، وشعر العتاب، وشعر الاعتذار.

والخامس: في الرثاء، وحمل نوعين من الرثاء: رثاء علماء عصره، ورثاء شيخه ومعلمه .

والسادس: جاء في التأريخ الشعري لدى الشبراوي.

أمَّا الفصل الرابع: فيدور حول الخصائص الفنية في شعره، وقسمته إلى ثلاثة مباحث كالآتي:

الأول: في اللغة والأسلوب، ويتناول بعض الإمكانيات اللغوية مثل: الاقتباس، والتضمين، والتكرار. **والثاني**: في الصورة الشعرية، ويتكون من: التشبيه، والاستعارة، والكناية.

والثالث: يبحث الموسيقى في شعره، ويدور حول محورين، الأول: في الموسيقى الخارجية، ويتناول: الوزن، والقافية. والثاني: في الموسيقى الداخلية، ويتناول: الجناس، ورد العجز على الصدر، ولزوم ما لا يلزم، والتصريع، والتدوير.

*****

أمَّا القسم الثاني: فعنوانه «**تحقيق ديوان منائح الألطاف في مدائح الأشراف**» وقدِّمْتُ لهُ **بمقدمةٍ**، وفيها أبرزت الصعوبات التي واجهت الباحث في سبيل الحصول على النسخ الخطية، وتكلمت بشيء من التفصيل عن النسخ الخطية العشر التي حصلت عليها، وقمت بالمقابلةِ بينهم، وبعد المقابلة، وجدت أنَّ هناك ثلاثة نسخ خطية يمكن الاعتماد عليها في التحقيق، فأعطيت لكل نسخة من النسخ الثلاث رمزًا من الرموز*، **ومن تلك النسخ الخطية**:

---

* **أمَّا عن سبب اختيار هذه الحروف بالتحديد فيرجع إلى:**

أولاً: الحرف(ص) نسبة إلى النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة الأزهر الشريف، التي اعتمدت عليها أصلا في عملية التحقيق .

ثانيًا: الحرف (م) نسبة إلى مخطوط مكتبة الأزهر الشريف ، التي تم الاعتماد عليها أصلا ثانويًا في عملية التحقيق .

ثالثًا: الحرف (ك) نسبة إلى مخطوط دار الكتب المصرية، وهي النسخة الثالثة في عملية التحقيق.

١ــ **النسخة الأولى**: في مكتبة أباظة الملحقة بمكتبة الأزهر الشريف، تحت رقم عام(٧٢٩)، وخاص(٤٣٣)، ورمزت لها بالحرف(ص)، وهي التي اعتمدتها أصلا في التحقيق.

٢ــ **والنسخة الثانية**: في مكتبة الأزهر الشريف تحت رقم عام(٦٣١٧)، وخاص(٩٠٢) أدب، ورمزت لها بالحرف(م).

٣ــ **والنسخة الثالثة**: محفوظة بالخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية تحت رقم(٩٤٤) شعر، وميكروفيلم رقم(٢٩٤٩٢)، ورمزت لها بالحرف(ك).

وكذلك أوضحتُ الفرق بين النسخ الخطية الثلاث التي اعتمدت عليها في عملية التحقيق، من حيث عدد الأبيات، وعدد القصائد، والأبيات المحذوفة، والأبيات الزائدة لكل نسخة من النسخ. **وتحدثتُ عن الظواهر العامة** في النسخ الخطية وطبعات الديوان. وأوضحتُ الفرق بين الديوان المطبوع والنسخ الخطية.

وختمتُ المقدمة بالمنهج المقترح في عملية التحقيق، ويقوم على عدة أسس في تحقيق النص الشعري، منها: المقابلة بين النسخ، وضبط النص، وتفسير الغريب من المفردات، والالتزام بترتيب الديوان كما هو في الأصل، والترجمة للشعراء والأعلام، وإحصاء قصائد الديوان، واستخدام الرسم الإملائي الحديث في كتابة الديوان المحقق...وغيرها.

وبعد المقدمة **يجيء تحقيق الديوان، ويتضمن**: مقدمة الديوان، وتحقيق المتن مرتبًا على حروف الهجاء، وخاتمته. **ثم** أوردتُ فهرسًا عامًا يحوي بين دفتيه فهرسًا للآيات القرآنية، وفهرسًا للأحاديث الشريفة، وفهرسًا للأشعار المضمَّنة، وفهرسًا للشعراء والأعلام، وفهرسًا للقبائل والطوائف والأماكن، وفهرسًا لتوزيع البحور الشعرية، وفهرسًا للقوافي، وفهرسًا للمصادر والمراجع.

وفي نهاية المطاف **تجيء الخاتمة متضمنة أهم** النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته للشاعر، وأغراض شعره، وتحقيق ديوانه.

وبعد فَأَرْجُو أن أكون قد أسهمت في حقل الدراسات الأدبية الخاصة بمصر العثمانية، وأن أكون قد حاولت بقدر الإمكان تحقيق ديوان الشبراوي تحقيقا علميا؛ ليكون دعوة للرجوع عن الأفكار والمعتقدات الخاطئة التي ألمت بأدب تلك الفترة.

القسم الأول

الفصل الأول

عصر الشاعر

عبد اللّه الشبراوي

المبحث الأول

الحياة السياسية

كثر اللغط وتضاربت الأقوال ما بين مؤيدٍ للحكم العثماني ومعارضٍ له، تبعا لجوانب إيجابياته وسلبياته. **فإيجابياته** لكونه **الدرع الواقية والذائدة** عن ديار الإسلام والمسلمين في صد الغارات الأوربية المعادية للإسلام والمسلمين، وحماية الأراضي المقدسة الإسلامية من مخططات الصليبية البرتغالية، ومناصرة أهالي الشمال الأفريقي ضد الحملات الصليبية الإسبانية وغيرها، وإيجاد وحدة طبعية بين الولايات العربية، وإبعاد الزحف الاستعماري عن ديار الشام ومصر، وغيرها من الأراضي الإسلامية، ومنع انتشار المذهب الاثنى عشري الشيعي الرافضي إلى الولايات الإسلامية التابعة للدولة العثمانية، ومنع اليهود من استيطان فلسطين، ودورها في نشر الإسلام في أوروبا[1]. **ولكن في المقابل** وجدنا بعض الباحثين يزعم أنه كان وبالا على الإسلام والمسلمين، فخيّم على العالم العربي ظلام دامس، جمدت معه القرائح، وانتشر في ظلِّه التخلف، والجهل وعمت الأمية[2].

---

[1] الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط: د. علي محمد الصلابي، دار الفجر للتراث، القاهرة، طبعة ١٤٢٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م، ص٦.

وذكر"د.**إسماعيل أحمد ياغي**": "أن الدولة العثمانية قد تكاثرت حولها الافتراءات والأباطيل، فليس معنى ذلك أنها كانت مبرأة من المآخذ والعيوب، فلكل دولة مزايا تذكر لها ومآخذ تسجل عليها. وقد أغفل أولئك المتحاملون العرب عن الخدمات التي أسدتها الدولة العثمانية للولايات العربية بوجه خاص، وتناسوا أيضًا أن الدولة العثمانية واجهت أخطارًا جسيمة تهدد العالم العربي بأفدح الأخطار كالخطر البرتغالي والإسباني والاستعمار الغربي والصهيونية...وغيرها". الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص٦.

وانظر في هذا الموضوع: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني: د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٠م، ص ٩، ١٠. وصفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية: د/ موسى موسى نصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٥.

[2] الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا: د. شوقي عطا الله الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م. وانظر في هذا الموضوع: مصر العثمانية: جورج زيدان، تحقيق: د. محمد حرب، دار الهلال، القاهرة، العدد ٥١٧، ١٩٩٤م، ص١٠٩، وما بعدها. والأزهر أثر وثقافة: سعاد ماهر، سلسلة دراسات **في الإسلام، العدد الثاني والعشرون، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٦٢، ص١٢.**

أمَّا عن الأسباب التي أدت إلى **ضعف مصر** في ظل الدولة العثمانية، وتراجع دورها وريادتها في هذا العصر، **فأرجعها المؤرخون إلى**:

أولاً: ضياع استقلالها وزوال سيادتها على يد الترك، بعد أن كانت حاضرة الإسلام، فصارت ولاية تابعة للدولة العثمانية، **وعلق ابن إياس** على ذلك قائلاً:"ومن العجائب أن مصر صارت نيابة بعد أن كان سلطان مصر أعظم السلاطين في سائر البلاد قاطبة؛ لأنه خادم الحرمين الشريفين، وحاوي ملك مصر"[١].

ثانيًا: عندما مكث السلطان سليم الأول(٩١٨- ٩٢٦هـ / ١٥١٢ - ١٥٢٠م) في مصر بعد فتحه لها ثمانية أشهر، أذاق فيها المصريين ألوانا كثيرة من الظلم والمحن ومصادرة الأموال. **وخيرُ شَاهد على تلكَ الحوادث ابن إياس**، ففي ذلك يقول: "كانت سنة صعبة شديدة على الناس شديدة الحوادث والفتن(أي سنة دخول العثمانيين مصر)، جرى فيها أمور شنيعة لم تجر في سالف الأزمان، وقتل فيها جماعة من الأمراء والعسكر والمماليك السلطانية في فتنة ابن عثمان، وقتل فيها من أهل مصر من ليس له ذنب وراح ظلما؛ فقتل من الناس ما لا يحصى عددهم، ولعب السيف في أهل مصر سبعة أيام، وقتل فيها ثلاثة سلاطين وهم الأشرف الغوري، وطومان باي، والظاهر قنصوة قتل في البرج بثغر الإسكندرية، وتغير فيها ثلاث دول، وخربت فيها دور كثيرة، ونهب فيها أموال، وقماش لا يحصى، وتيتم فيها أطفال، وترملت فيها نساء، وجرت فيها مفاسد كثيرة لم يسمع بمثلها"[٢]."حتى قتل منهم ومن أهالي البلد ما يبلغ خمسين ألف نسمة"[٣].

ثالثًا: قام السلطان سليم الأول بجمع عددٍ كبيرٍ من علماء مصر ومهندسيها وصناعها وفنانيها، وعلق ابن إياس على تلك الواقعة قائلاً: "ومن أعظم مساوئ ابن عثمان إخراج أعيان الرؤساء بالديار المصرية ونفيهم إلى اسطنبول"[٤]؛ "حتى

---

[١] بدائع الزهور في وقائع الدهور: محمد بن إياس، دار ومطابع الشعب، القاهرة، مصر، ١١١١/٤.

[٢] المصدر السابق نفسه،١١٢٣/٤.

[٣] **تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك، طبعة محمد أفندي مصطفى، القاهرة، ط١، ١٨٩٣م، ص ٥٦.**

[٤] بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١١٢٤/٤.

قيل إنَّ عدد من خرج من أهل مصر إلى اسطنبول ألف وثمانمائة إنسان"[١]، وروى **الجبرتي** في تاريخه:"أن السلطان سليما الأول أخذ بصحبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التي لم توجد في بلاده حيث إنه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة"[٢].

رابعًا: كذلك قام سليم الأول بنقل كثير من التحف، والآثار الرائعة من المساجد، ومن قصور المماليك، وحمل آلاف الكتب التي ملأت المكتبات ودور التعليم بمصر، وأودعها في خزائن القسطنطينية.

وذكر **المؤرخ ابن إياس** في بدائعه:"أن ابن عثمان خرج من مصر ومعه الف جمل محملة ما بين ذهب وفضة، هذا خارجا عما غنمه من التحف والسلاح والنحاس والخيول والجمال وغير ذلك، حتى نقل منها الرخام الفاخر، وأخذ منها من كل شيء أحسنه، مما لم يفرح به آباؤه ولا أجداده من قبله أبدًا، وكذلك ما غنمه وزراؤه من الأموال الجزيلة، وكذلك عسكره، فإنهم غنموا من النهب ما لا يحصى"[٣].

وعلق د.شوقي ضيف على ذلك، فقال:"وكأنما وَضَعَ خطة محكمة(ويقصد به السلطان سليم الأول) أن يحرم مصر من كل ما كان بها من تراث فني، وهكذا جردت مصر من علمائها وفنّانيها وتراثها الفكري والفني وعاشت مصر حقبا سوداء امتدت إلى نحو مائتين وتسعين عاما"[٤].

خامسًا: جعل اللغة التركية بالتدريج اللغة الرسمية للسلطة الحاكمة، أي في الدواوين والمخاطبات والمراسلات السلطانية؛ فحلَّت محل اللغة العربية.

---

[١] بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١١٠١/٤. وانظر في هذا الموضوع: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى: د. محمود محمد الحويري، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط١، سنة ٢٠٠٢م، ص٢٢٢.

[٢] تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، لبنان، ٣٧/١.

[٣] بدائع الزهور في وقائع الدهور،١١١١/٤.

[٤] عصر الدول والإمارات، مصر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م، ص٤١. وانظر في هذا الموضوع: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى: د. محمود محمد الحويري، ص٢٢.

سادسًا: نقل الخلافة الإسلامية التي كان لها شيء من المهابة في قلوب المسلمين، والعمل على إزالتها؛ فأخذ السلطان سليم معه حين عودته إلى دار الخلافة الجديدة محمد المتوكل على الله آخر خلفاء بني العباس، وهناك تنازل عن الخلافة للسلطان العثماني؛ فأصبح بذلك السلطان العثماني خليفة رب العالمين[١].

سابعًا: وضعوا أيديهم على أرزاق الناس وسلبوا أموالهم بغير حقٍ شرعي، وأخذوا أموال الأوقاف وصاروا ينهبون ويفعلون ما يشاءون بغير حساب، وفي ذلك **يقول ابن إياس**:"ووضعوا أيديهم على رزق الناس والإقطاعات، ثم استدرجوا إلى أن أخذوا أموال الناس بغير حق شرعي، ثم استدرجوا ثانيًا إلى أن أخذوا أموال الأوقاف"[٢].

ثامنًا: جعل نظام الحكم في مصر ثلاث إدارات أو قوات، كل منها تراقب أعمال الأخرين فلا يخشى اتحادها وتمردها[٣]:

القوة الأولى: **الباشا(الوالي) ويجدد تعينه كل عام وجعله السلطان تحت ملاحظة الأغا**[*] كبير القلعة[٤]، وأهم واجباته إبلاغ الأوامر السلطانية لرجال الحكومة وللشعب، ومراقبة تنفيذها[٥].

والقوة الثانية: الواجاقات(الفرق العسكرية)، وواجباتها حفظ النظام في القطر المصري، والدفاع عنه، وجباية الخراج.

والقوة الثالثة: الأمراء المماليك، وهم بقايا الدولتين الأيوبية والمملوكية، والفائدة منهم حفظ الموازنة بين الباشا والواجاقات؛ لأنَّهم في الأصل أعداء لكلا الفريقين، ومن غرضهم الانتصار للفريق الأضعف ليمنعوا القويّ من الاستبداد[٦].

---

[١] انظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ٣٧/١.

[٢] بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١١٢٦/٤.

[٣] انظر: مصر العثمانية: جورجي زيدان، ص١١١.

[٤] الدولة العثمانية: بكر محمد إبراهيم، ص٩، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة، عام ٢٠٠٦م.

[٥] انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك، ص٥٧، ٥٨.

[٦] انظر: الدولة العثمانية: بكر محمد إبراهيم، مركز الراية ، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٠،٩.

(*) اختلف في أصل الكلمة فقيل تركية من المصدر " **أغمق** " ومعناه الكبر وتقدم السن، وقيل إنها من الكلمة الفارسية " **أقا** " وتطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة وعلى الخادم الخصي الذي يؤذن له بدخول غرف النساء. وقيل إنها من أصل منغولي ومعناه عند المغول وأهالي خوارزم أمير كبير، ورئيس، =